مقبرة الهوى

بحُرقةِ المكلومِ أقولُها *** وبلوعةِ المحرُوم أخُطُّ حُروفها

رحلتِ رحلتِ وليس لهُ سواكِ *** أين يجدكِ وما سبيلُ لُقياكِ

ذهبتِ ذهبتِ وليس لهُ إلاَّكِ *** ما الحلُّ وقد استحالتْ رُؤْيَاكِ

بحُزن الفتى المفتونِ *** وبشوقِ العبدِ المُشارفِ على الجنونِ

عُودي بربكِ عُودي *** عُودي وَعَنهُ رُدي بطش غيابكِ

عُودي إلى ولدٍ بحُسن نواياهُ أتاكِ *** ولدٍ ظنَّ أن لا مُجير له مِنْكِ سواكِ

ولدٍ بخيرِ وصفٍ حباكِ *** ومن غضبِ وجهلِ الأجمعين حماكِ

ولدٍ أرهقهُ الغيابُ وليس له إلاَّكِ *** وأصبح غُلامًا من أثرِ نجواكِ

غُلامًا راشدًا أردتِ الحُبَّ فإيَّاهُ سقاكِ *** وأوحشتِهِ وظلَّ يهواكِ

بسم قلبٍ وجدتهِ عندَ كسرٍ فاحتواكِ *** وبسم نبض لن ينبض سوى بحُب عيناكِ

وبسم غِبطةٍ يستشعرها حين يراكِ *** وحين تلتقي عيناهُ بعيناكِ

وهو يدري أن ليس له سواكِ *** ويخشى أن يدق لغيرهِ يُسراكِ

بسم ميمُونٍ مفتونٍ إذ هواكِ *** وبسمكِ فيروز هو والله يُحبُّكِ ويهواكِ

بكلفٍ ينتظر أن يلازمهُ يوم لُقياكِ *** وبحبٍ أعرجٍ أحرقتهُ نيرانُ غيابِكِ

فيرُوزُ إنَّ ميمونًا بكِ مفتونٌ *** ولا يمنعهُ سوى طيفُ ذِكراكِ عن الجنونْ

فيرُوزُ إنَّ قلبهُ لكِ خافقْ *** وإنَّهُ يُعاني ألم الحُب الدافق

فيروزُ أرستقراطيّةٌ أنتِ وعبدٌ هو *** فيروزُ عندَ الله كما أنتِ كما هُو

لَيْتَكَ كُنْتَ أَبَتِ...

لمَّا قيلَ لي كوني فكنتُ، لم أدرك أنني سأكون ما أنا عليه الآن.

لم أدرك أنني سأكبر لأعيشَ وسأشيب لأحمل الأدرانْ.

ولم أعلم كذلك أن ما يُفنيني هي تلكَ الأحزانْ.

ولم أعِ أنني بِتُّ، قاب قوسين أو أدنى من الامتحانْ.

وأيُّ امتحانْ؟

أهو اختبارُ الجهلِ أم النُّكران؟

أم أنَّه مخصَّصٌ للذُل والهوان!

وتبيَّن لي لاحقا أنهُ امتحان فقدِ الأمانْ.

كُنت فيما مضى بنتَ رافعِ الآذانْ.

وصرتُ إثرَكَ بنتَ صانعة الأكفانْ.

وغدا اسمي لِصَّةِ الأفراحْ.

صانعةِ الأتراحْ.

فَلِمَا؟

لما يقولون إنني سارقةُ الأحضَانْ.

يا صاحب الكيانْ.

يا من ثيابكَ سُندسٌ وعِطركَ ريحانْ.

وعدتني في سِنَتِي أننا سنزور كل الشُطئانْ.

وسنمر حذو كل الخِلجانْ.

وسنلِجُ إحدى غاباتِ البيلسانْ.

ولم أدرِ أن وعدكَ عِصيانْ.

عصيانٌ للموتِ الذي انتشلَكَ يومَ الطُوفانْ.

يوم حوَّل ما في القُرى من وِديانْ.

حياتنَا من الأمانِ إلى الهجرانْ.

ومِن الوعيِ نحوَ الهذيانْ.

يا أبتِ...

ليتكَ كنت هُنا يا أبتِ.

موتُكَ لا يزالُ زلَّتِي.

ومصرعُكَ إلى الآن آهَتِي.

أنتَ يا أَبَتِ!

قِصَّتي وستبقى إلى الممات قصَّتي.

وجيناتُكَ والدفاعُ عنهَا قضِيَّتي.

يا يُسْرِي ويا شِدَّتِي!

ويا حُلْمَ يَقظَتِي.

يا مَن أحببتُكَ قبلَ أنْ آتِي.

يا هَفْوَتي، يا هَمْسَتِي.

يا هَمْزَتِي، يا هُوِيَّتِي.

يا أَبَتِ.

يا ابن الصَّهباءِ أما حانَ وقتُ اللقاءْ؟

أما يكفِيكَ هذا الرجاءُ المُتسمُ بالرِثَاءْ؟

أم تُفضل أن أنتقِل إلى الهِجاءْ؟

كتبتُكَ اليومَ مِن السُويداءْ.

سُوَيدَاءَ قَلْبِي يا صاحِبَ البسمةِ القَمراءْ!

ولنْ أتخلَّى يومًا عَن رِداءِ البُؤساءْ.

وكذلِكَ ثَوْبِ الأشِقياءْ.

ووداعًا لَكَ يا ابنَ الصهبَاءْ.

وداعًا مَكْسُوًّا بِنَبْرَةِ البُكاءْ.

الذي يمنعُهُ مِن أنْ يرتفِعَ صَوْتُهُ الحَيَاءْ!

في زمن الحرب والنكبة

يُقال يا سيدتي...

أن قصص الحب، تولد في زمن الحرب والنكبة

تحت أزيز الرصاص...

وبين أشخاص أعيتهم سجون الأسر والأقفاص

أشخاص يعرفون جيدًا معاني الإخلاص

يدركون يا مولاتي يقينا، أنه والد لم يُر، وأنه حبُ جهاد في دمائهم سَرى

ويفتخرون رغم النكبة، أنهم أصبحوا الأيتام وسط الأرحام

ويعلمون...

يعلمون أن الوطن، هو تضاريس نسفتها الحرب

من الشرق حتى الغرب

خانها العرب

فويل لهم من شر مستطير قد اقترب

شر سيطبع على قلوبهم الخيانة إلى الأبد

يا وطني...

يا وطني يا جريح الأمّة؛

سيأتي يوم وترفرف أعلام نصرك فوق القمّة

يا وطني...

أما تدري أين نجد العروبة؟

أنجدها غارقة في غيبوبة؟

أهي في مرقدها تنتظر الأعجوبة؟

أم أنها أصبحت من قبل الملذات والشهوات منهوبة

سيقال يوما يا وطني

أن القدس الأبي

نفعه قيامُه من الأسر وصدامُه...

وما رُد صيامُه...

وما فترت حماسة غلمانِه...

سيروى أنه قد انبثق من جديد من ظلامِه...

كاشفا لثامه، ومرمما بوعد الله عِظامَه...

يا ابن العروبة

ألم تُثنيك عن تجاهلي أشلائي؟

أم أنك اخترت أن تنتصر لأعدائي!

يا ابن العروبة

إنني أكتب إليك الآن بمداد من دمي!

جفَّ قلمي وسيجِفُّ عن قريب دمي...

ولن يبقى لك مني...

سوى العار!

يا ابن العروبة

هلاّ قاطعت منتجات من حرمنا من أكل الرغيف؟

والوقوف بسلام على الرصيف؟

يا ابن العروبة

هلا قاتلت من قاتلنا بالترهيب

زاعما أنه يرتدي ثوب الترغيب

هلا قاتلت ذلك الغريب

أم أنك ستواصل التكذيب!

وتترك لنا النحيب وبعض الأكاذيب!

ستواصل خدمة عرشِك والحَرمين

وإمامة الناس كل جُمعتين

يا ابن العروبة

هلا دافعت عن أقدس حقوق المسلمين

وهلا تذكرت أننا هُنا من المنسيين

أم أنك نسيت أصلك كما نسيتَ...

أنك كُنت من الحُفاة العُراة!

راعيي الأغنام والشاة!

تبت يداك لك لأنك...

تتناسى أننا أبناء الأرض، منها خُلقنا

وإليها سنعُود

حتى إن تخليت عنا يا سليل النمرود!